القضيّة

قصة بقلم زهير أحمد الشايب

ـ ١ ـ

اكان محقا في موقفه ؟ ماذا يقول الان هؤلاء الناس عنه ؟ نظر للمحصل وهو يغوص في زحام العربة . الندم ينمو في اعماقه . حاول الانشغال بشيء . بدأ يتأمل التذكرة . كيف السبيل لفهم رموزهـا وارقامها ؟ ... « اتهوى المشاكل ؟؟ » . عادت المشكلة تلح عليه،وانبثق المشهد في ذاكرته بكل تفاصيله . الكلمات التـي قالها للمحصل تدوي في اذنه .. لكن .. لم اكن مخطئا . المحصل هو المخطىء . ليس معي سوى هذا الجنيه . انزل ؟؟ .. فهقهات ترن في اذنه . زملاؤه فـي المصلحة يتندرون عليه « فلاح ! هاها ». تحفزت مشاعره . مستحيل . لن انزل . هز راسه . نظر لمن حوله . « الناس لا تأتي الا بالشدة » . اطل من النافذة ، وازدادت قدمه ثباتا فوق ارض العربة ، وعاد يتأمل التذكرة من جديد ... المحصل يستسلم في هدوء . سمع الكلمـات الجارحة دون ان يرد . اين هو الان ؟ لم يعثر له على اثر . زاد ندمه. لا يصح هذا بالفعل .. اه ، ثم ماذا لو تطور الامر ؟ انسيت ؟ لمدةثلاثة اشهر يجب ان تبتعد عن المشاكل . قرار تثبيتك بالمصلحة لم يصدر بعد . اف ! ... تابع حركة النازلين والصاعدين ... « كان يجب ان تحمل نقودا صغيرة . تذكر ذلك دائما » . يده تعبث آليا بجيب بنطلونه الصغير . احمر وجهه . لو يعلم المحصل ! لو يعلم هؤلاء !

ـ اعوذ بالله ؟ وتقسم ان ليس معك سوى الجنيه ؟

ـ لكني احتفظ بها .

ـ تحتفظ بها ؟

ـ آ .. كتذكار .

ـ جائز .

ـ عليها شعار مناسبة وطنية . حتى انظروا .

ـ ولو يا اخي . سهل امورك .

المحصل يصيح :

ـ وماذا يهمه هو ؟ لا بد ان يشاغب .

هتف في غيظ :

ـ انا حر . انا حـر .

اخرجته اهتزازة مفاجئة من دوامته . هل سمعه احد ؟ لا احد ينظر اليه . آ .. حقا .. ما سر رموز هذه التذكرة ؟ ... عشرون مليما . باقي ثمانية وتسعون قرشا ... اخ ! .. ماذا لو انكر المحصل « الباقي » ؟ .. قد ينسى . ما العمل ؟ .. هؤلاء شاهدون . اطرق قليلا . اصوات غاضبة ، وتماسك بالايدي ، مشادة عنيفة ...

ـ « الافندي » صاحب الجنيه . انت يا اخ .

افاق من هواجسه .

ـ نعم ؟

اصبح المحصل بجانبه .

ـ جنيهك هذا ؟

عدنا لقلة الذوق ؟ في لحظة خاطفة مرت به انفعالات وافكـار شتى . ظـل ينظر لورقة النقد في دهشة . عادت ضحكات زملائه في المصلحة ترن . نظرات المحصل تحرك سخطه ... « ولهجته ايضـا كانت جافة » . ماذا يريد هذا الوغد ؟ ... خرج صوته كقذيفة :

ـ نعم . يلزم شيء ؟!

نظرات المحصل لا تفارقه . قال ببرود :

ـ هات غيره .

ـ هات غيره ؟ لماذا ؟

جذب الموقف بعض نظرات الفضول . قال المحصل بتؤدة ، وبلهجة من يلمح الى اثر لا يعرفه سواهما :

ـ لا شيء . فقط هات غيره .

اسئلة من كل جهة :

ـ لماذا ؟

ـ لماذا ؟

الامر غير مفهوم . المحصل لا يزال يرمقه . حدقتا عينيه متسعتان. قلب وجهه في حيرة .

ـ هيه ؟

ـ السبب ؟

ضغط المحصل على كل حرف :

ـ فقط . هات . غيره .

تدخل المحيطون بهما من جديد :

ـ ماذا هناك ؟

ـ قل له السبب .

قال المحصل بنفس البرود :

ـ هو يعرف .

صاح بحدة :

ـ اعرف ماذا ؟

« علي انا ؟ » . ضاق بنظرات المحصل . لكنه صمت في حيرة.

صاح المحصل بصوت نافد الصبر :

ـ هات غيره احسن لك .

ـ احسن لي ؟!

ـ نعم . تحب ان تذهب الى القسم ؟

ـ قسم ؟! باي سبب ؟ حرامي يا مجرم ؟

خرج المحصل من هدوئه :

ـ لا . مزيف . علي انا ؟ جنيهك مزور .

فتحت الافواه وسيطر الصمت والترقب . نادى المحصل في الدرجة الاولى :

ـ الاستاذ صاحب الخمسة جنيه . ما له الجنيه ؟

ـ مزيف .

دار الهمس . نظرات الفضول تصوب نحوه من كل من حوله . شد الموقف انتباه الجميع . خطر غامض يلوح في افق العربة . لا بد ان « يدافع » عن نفسه :

ـ الجنيه لا يخصني .

ـ اسمع ! امام هؤلاء . قلت جنيهي ام لا ؟

رد على الفور وهو يعلم انه كاذب :

ـ لا .

قال جنيهي ام لا ؟ انتم شاهدون .

ـ نعـم .

ـ قال .

هذه الكلمة اللعينة . كيف افلتت منه !

ـ اثبت انه جنيهي .

ـ اذن لا بد من القسم .

انشعر برنة . القسم ؟! يا حفيظ . لا ينسى يوم ذهب يجدد بطاقته الشخصية ... والان .. لا داعي للمتاعب .. ليذهب الجنيه في داهية ..

ـ هيه ؟ ماذا قلت ؟

امتدت يده بقطعة النقد الفضية . انتزعها المحصل وتأملها. قال بنغمة لها مغزاها :

ـ يا اخي . ما دامت هذه معك من البداية ، لم المتاعب ؟ .. خذ جنيهك .

لم تمتد يده .

ـ امسك جنيهك . ارم بلواك على غيرنا .

ـ احفظ لسانك .

ـ لساني « ايه » يا اخ ؟ لم تجدوا سوانا ؟

ووجه المحصل حديثه للجميع :

ـ في هذا الاسبوع وحده ضاع علي ثلاثة جنيهات .. وكل يوم واحد من زملائنا يقع في نفس المطب . خذوا بالكم .

شل لسانه عن الحديث . الجنيه في يده كجثة قتيل . التعليقات الهامسة تعلو وتتناهى لسمعه :

ـ نفس الحكاية مع واحد زميلنا .

ـ ابن عمي اول امس ...

ـ لا بد انها عصابة خطيرة .

ـ ومنظمة .

قهقه زملاؤه ودفت امه الطيبة على صدرها . اختلطت الضحكات بالدعاء الساذج :

« ـ هذا الساهي ، مزيف ولا ندري ؟

« ـ الهي يا بني يكفيك شر التهم الباطلة ..

« ـ وكان يغضب لكرامته . هاها ..

« ـ وشر الخبيء في الغيب .

التعليقات تعود فتفرض نفسها على سمعه :

ـ لا بد من اعدامهم .

ـ الاعدام ـ في رأيي ـ لا يكفي .

« ارم بلواك على غيرنا ! » . صوت المحصل لا يزال يدوي في اذنه . العرق يكاد يذيب الجنيه في كفه . نظرة شرسة واسعة تكاد تبتلعه . اصوات تتردد :

ـ امسكوا المزيف الخطير .

اندفع يجري . الاقدام تدب خلفه . صاح في فزع

ـ ليس جنيهي .

ـ الاقدام تكثر ، والهمس يعلو ويعلو ..

ـ كانت معه قطعة بعشرة قروش واصر على فك الجنيه

ـ قد يكون منهم . لم لا ؟

ـ هو منهم ولا بد .

من يقول ذلك ؟ الملامح تختلط عليه . هل قيل شيء من ذلك حقا ؟ العرق يتصبب من كل مسامه . النظرة البشعة الواسعة لا تزال تتهيأ لابتلاعه . « تخلص من الجنيه . تخلص منه » ... ووجد نفسه يشق طريقا للنزول .

ـ اين تذهب ؟

يد خشنة تقبض على ذراعه . تأمل الملامح الصارمة والجسم العملاق . العيون الواسعة نفسها ! رعب شديد . انهار كل شيء . الاصوات تعود لتردد عالية صارخة :

ـ مزيف .. مزيف .. مزيف .

صوت يهمس في الحاح :

ـ تخلص منه . القه . ارمه .

اسرعت يده الى النافذة . اطبقت عليها اليد الخشنة في اخر لحظة.

ـ القسم يا « ريس » .

ـ انا .. انا .. أ .. لست مزيفا .. والله العظيم ..

العملاق لا يبالي بقسمه . اليد الاخرى تعبث بجيوبه . زملاؤه في المصلحة يضحكون :

ـ كرامته ! هاها ..

اليد الخشنة لا تزال تعبث بجيوبه . « تنتهك حرمته » ... انبثق القضب في اعماقه ، وتذكر فجاة ما يستند اليه :

ـ لا تفتش .

وصمد لاول مرة للنظرات الواسعة . واصل احتجاجه بعد فترة صمت .

ـ .. التفتيش غير « قانوني » . هل معك اذن من النيابة ؟

وضجت العربة كلها بالضحك ..

ـ ٢ ـ

لفت وصوله انظار الجمهرة الموجودة بفناء القسم . واتجهت نظرات الفضول نحو « المتهم » ، الذي احيط على الفور بحراسة مشددة ، في طريقه لداخل القسم ..

« لا بد انه خطير » .

اختلط ركاب العربة بجمهرة الموجودين بالقسم واشتد اللغط :

ـ من هذا ؟

ـ واحد من العصابة .

ـ عصابة ؟ !

ـ عصابة التزييف .

ـ آ ..

ـ عبثا ينكمش داخل جلده ، « فالناس » لا بد الان قد رأوه . رأسه مطاطئة . خطواته سريعة ، والأسئلة من ورائه تنتشر كالنار :

ـ من هذا ؟

ـ زعيم العصابة .

ـ ضبطوا معه مائة جنيه .

ـ مائة ؟! ألف .

ـ اولاد الكلب .

ـ كاد يقتل الضابط الذي امسكه .

ـ قاوم فرقة كاملة .

ـ اخطر واحد فيهم كلهم .

ـ .. شكله ليس غريبا علي ..

ومسحت الاكف الجباه . وبدأ الموجودون يتذكرون شيئا غاب عنهم

ـ .. وانا ايضا .

اندفعت اقدام نحو حجرة التحقيق ، فوجيء الصول المحقق باصوات تصيح .

ـ هو . هو .

ـ هو بعينه .

ـ هو يا حضرة الضابط .

ـ هو يا حضرة الضابط .

صاح الصول :

ـ هو من ؟

ـ الذي كان يأتينا بالجنيهات الزائفة .

ورمقت احدى الموجودات المتهم « بما تبقى لها من نظر » . دقت على صدرها :

ـ يا ابن الحرام ! تستحل فلوس اليتامى . حرام عليك .

ـ مالك يا نعيمة ؟

ـ مالي يا حضرة الضابط ؟ كل يوم يا سعادة البيه علبة سجاير ويفك جنيها جديدا . هو بعينه ..

وزاد اللغط فصار ضجيجا ، وتذكرت كل الذاكرات « الضعيفة » ، صورة المزيف الخطير الذي لعب عليهم .. ولم يكتف الامر على جمهرة

مقدمي البلاغات في القسم ، اذا اتضح لثلاثة من ركاب نفس الاتوبيس ، انه لا بد وان يكون الشخص الذي كانوا يبحثون عنه مـــن زمن ـ لنفس السبب ..

ـ ٣ ـ

كان يستمع في ذهول لاقوال العملاق الذي قبض عليه ، والذي تبين انه مخبر يدعى عبد العليم ، وكذلك لاقوال المحصل وبقية الشهود ، ومع كل كلمة تقال ، كان الامر يكشف عن شيء مرعب خطير يحدق به شيئـــا فشيئا . كانت عيناه على سعتهما لا تريان سوى ذلك الخطر المجهـــول الذي يتراقص في جو غرفة التحقيق . وبين لحظة واخرى كانت توقظه كلمة من شاهد او نظرة صاعقة من نظرات الصول المحقق .

فوجيء في النهاية ، بصوت الصول يصيح . لا بد انه سأل قبـــل ذلك مرات ، نفس السؤال : ـ اسمك ؟

ـ حسن يوسف عبد الله .

ـ ارفع صوتك .

ـ حسن يوسف عبد الله .

ـ صحيح هذا يا ولد ؟

ماذا يقول ؟

ـ انطق .

كل ما قيل قد حدث منه بالفعل ، لكن ، ما معنى هـذه التصرفات كلها مجتمعة ؟.. قال باستسلام ، هربا من النظرات النارية :

ـ نعـم .

تمتم المحقق في غيظ :

ـ وقعتم اخيرا يا اولاد الكلاب .

دعوات امه الساذجة تختلط بضحكات زملائه ، والرعب يكاد يشل اطرافه . وجد اعماقه كلها ترتجف .

ـ انت زميله ؟ لا تسمع ؟

قال بصوت خائف :

ـ زميل من ؟

ـ احمد عبد المجيد سالم . زميلك ؟

ـ زميلي ؟؟

ـ اعقل يا ولد احسن لك .

ـ والله لا اعرفه .

وقلب يديه في حيرة ، تراجع للخلف ، والمحقق ينفجر صائحا ، وهو يهم بالوقوف في حركة غاضبة :

ـ تلعب علينا نحن ايضا ؟ زميلك أم لا ؟

قال باستعطاف :

ـ والله العظيم ..

ـ كن عاقلا قلت لك . لا تكن عنيدا مثله . فـي النهاية (هـــو) اعترف . هرب من نظرات المحقق وساد صمت ثقيل . بدا صوت خافت يهيب به أن يتحرك قبل فوات الاوان .

ـ هيـه ؟

ـ والله العظيم لم افعل شيئا .

صعد الرجل فيه بنظراته الغاضبة الملتهبة :

ـ لم تفعل شيئا ؟!

ـ نعم . والله العظيم .

تصنع الرجل الهدوء وطول البال :

ـ الجنيه ليس جنيهك ؟

ـ لا .

ـ لا ؟ .. لماذا اخذته اذن ؟

ـ ...

ـ ولماذا اصرارك على فك الجنيه . ومعك قطعة العشرة قروش ؟

ـ كنت محتفظا بها .

ـ لمـاذا ؟

شعر بسخف الرد ، لكنه لم يجد منه مناصا :

ـ كتذكار . عليها شعار مناسبة وطنية .

ـ اه ؟ ماذا تقول ؟

هرب من نظرات الصول الثابتة .

ـ احتفظ بها كتذكار .

ـ ماذا تقول يا أخ ؟!

ـ والله العظيم .

ـ كـذا ؟

ثم عاد المحقق يتصنع الصبر من جديد :

ـ اذن ، لماذا اخذت الجنيه ؟

ـ ...

(بدأ صوت المحقق يعلو مع كل سؤال)

ـ لماذا خفت عندما تحدث المحصل عن الذهاب الى القسم ؟

ـ ...

ـ تذكرتك كانت لنهاية الخط ؟

ـ نعـم .

ـ لماذا نزلت قبل منتصفه ؟

ـ ...

ـ لماذا حاولت الالقاء بالجنيه من النافذة ؟

ـ ...

ـ وهؤلاء الشهود ؟.. نعم . وهؤلاء الشهود ؟ (وصاح) .. اسمع. ستعترف أم لا ؟

ـ والله العظيم لم افعل شيئا .

هب المحقق واقفا :

ـ ستعترف أم لا ؟

ـ والله العظيم ..

اتجه اليه الصول والشرر يتطاير من كل جسده .

ـ والله العظيم ، والله العظيم . تقسم أنت ايضا بالله ؟ تعرفه ؟ تعرفونه يا أولاد الكلاب ؟ تعرفونه يا مجرمون ؟..

وتفجر حقد الرجل ، وتملكه الغضب المجنون مـــن هؤلاء الذيـــن يعملون ما يحلو لهم ثم يتمسحون بالله . وانهالت الصفعات والركلات ، وعبثا يرفع يوسف يده ليحمي جسمه .

ـ .. ثلاثة اشهر يا اولاد الكلب .. لا نملأ عيونكم ! ليست بالبلد حكومة ؟ خلي الجو لكم ؟..

ـ .. وتقسم بالله ! تقسمون بالله ؟ تعرفونه ؟

الضربات تكاد تسحقه . تحدث . قل شيئا . الناس لا تموت هكذا دون ضجة . دون كلمة .

ـ لا تضرب . لا تضربني . الضرب هنا ممنوع .

تجسد غيظ الرجل في كلمة قوية .

ـ أي . الضرب ممنوع ، قلت لك .

ووجد يوسف صوتا عنيدا ينمو ، وتذكر ما غاب عنه . مـع الركلة الجديدة قال المحقق بغيظ :

ـ ومن منعه ؟

ـ القانون .

صاح الرجل كمن لدغه ثعبان :

ـ القانون ؟ القانون تقول يا ابن الـ .. ؟

وسب أمه بكلمة نابية وعاد يركله ويلكمه وهو يردد :

ـ القانون ! الذي وضع القانون جالس على مكتبه . لم يأت هنا . لا يعرف الاشكال التي نتعامل معها (واشتد هياجه) . القانون لم يوضع لامثالكم . لا يعرفكم . القانون للشرفاء . لضحاياكم .

ازداد الصوت الهامس فـي اعماق يوسف عنـادا . قـال بصوت تقطعه التشنجات :

ـ المتهم بريء .. الى ان .. تثبت .. إذا .. نته .. هذا حكم.. القانون ..

ـ اشكنا اذن .

ـ هناك نيابة . ساقول .. ضربوني ..
امسك الصول رقبة يوسف بكلتا يديه .
ـ اقتلك ؟
تدارك عبد العليم الموقف . ابعد الصول عن يوسف .
ـ تقتله في غضبك . يحسبونه علينا واحدا ككل الناس .
وقدم اليه سيجارة بدأ ينفث دخانها بغيظ .
ـ تصور يا عبد العليم . يتحدث هو الاخر عن القانون .
طيب عبد العليم خاطره واتجه الى يوسف ينصحه ، بينما يوسف يبكي تشنجا :
ـ المعاملة هنا سيئة . غير « قانونية » .
هم الصول بمعاودة الهجوم عليه . حال عبد العليم دونه وما يريد .
صاح الصول وجسم عبد العليم يمنعه عن يوسف :
ـ سيئة ؟ كنت تظن نفسك ذاهبا للسينما .. الافسام كلها هكـــذا (وعاد الى مكتبه بينما صوته يعلو مؤكدا) في السند . في الهند . كلها هكذا . جاجارين عندما ذهب الى القمر وجد الاقسام هناك هكذا .
اندفع يوسف يقول بعناد طفولي :
ـ جاجارين لم يذهب الى القمر . دار فقط حول الارض .
ـ يعني انا كذاب ؟
وهب واقفا من جديد ، وخطا نحوه خطوات غاضبة .
ـ جاجارين ذهب الى القمر . ذهب يا ولد . قل ذهب .
ـ لم يذهب .
ـ ذهب .
ـ لم يذهب .
ـ قلت لك ذهب . تكذبني ؟
وعاد ينهال فوقه ضربا ، ووجد عبد العليم ان المتهم « لطول لسانه» لا يستحق سوى الادب . ظل الصول يكرر مع كل ضربة :
ـ ذهب . ذهب . ذهب . قل ذهب يا ابن الـ ..
وسقط يوسف فاقد الوعي ، وامر الصول بالقائه في الحجز ، لحين حضور الضابط المختص . ثم بدأ يسترد انفاسه ، ويهنىء عبـــد العليم ـ وهو يبتسم ـ بالترقية المنتظرة .

ـ ٤ ـ

ابتسم الضابط ابتسامة صافية كبيرة عندما رآه .
ـ تفضل .
واشار الى كرسي امام مكتبه . وازاء الحاحه فقـد جلس يوسف غير مصدق . استمر الضابط يكتب ويقلب الاوراق التي امامه لفتـــرة كان يوسف اثناءها يختلس النظرات اليه . استراح لقسمات وجهـــه . تأمل شاربه الدقيق المرسوم في عناية . استرد انفاسه ، فرك كفيه عـدة مرات ، ووجد نفسه يرتجف وهو يشعر ببرد خفيف ، وتركزت نظراتـــه على شعر الضابط الفاحم . ترى ، ماذا يجول برأسه هو الاخر ؟ دعوات امه تملأ سمعه ، وادلة كثيرة ترد على ذهنه تؤكد له « براءته » .
ـ أهلا بالرجل .
ابتسم في حياء وهم بالوقوف .
ـ اجلس . اجلس يا رجل .
جلس على حافة الكرسي . بحثت يد الضابط بأحد جيوبه .
ـ سيجارة ؟
انتفض واقفا في شعور عارم بالجميل .
ـ شكرا . لا ادخن .
نظر اليه الضابط نظرة لم يلحظها يوسف .
ـ خذ سيجارة .
ما هذا ؟ ! ... لا بد انهم اكتشفوا براءتـــه . استسلم لمشيئـة الضابط . نظر الى عينيه . اوحى له جو الطمانينة بأن يمزح :
ـ هل يسمح بالتدخين في السجن ؟
ـ اطمئن يا رجل .
الله ! لماذا جاء هذا القول على لسانه ؟ كيف يمكن أن يفسر دوافعه.
عاد الضابط ينشغل بأوراقه . قال وهو منهمك : ـ واسمك ؟
ـ يوسف حسن عبد الله .
ابتسامة الضابط الصافية ولهجته المرحة اكدتا له صدق ما دار بخاطره . دق الضابط جرس المكتب . قال للجندي حارس حجرته :
ـ اثنين قهوة مضبوط .
لمن ؟ لي انا !؟ ما هذا ؟.. لكن ، لا يجب ان يعترض . قد لا تكون القهوة من اجله فيحرج بذلك حضرة الضابط . استراح تماما للضابط وعاد يسمع دعوات امه ووثق تماما من براءته . وعلى الفور ، شعر بآلام الضرب المبرحة . وتجسد ما حدث له ، فكادت الدموع تطفر من عينيه ، وشعر باختناق صوته ، وبان كل هذا في ملامح وجهه المعبرة .
ـ ما بك ؟
ـ تصور يا حضرة الضابط . ضربوني قبل مجيئك .
قال الضابط مستنكرا :
ـ ضربوك ؟
اردف يوسف ليبين للضابط انه يعرف تماما كل حقوقه :
ـ وسيادتك تعرف ان ضرب المتهمين غير « قانوني » .
صاح الضابط في الحارس :
ـ ناد الصول حجازي .
دخل صبي البوفيه يحمل القهوة . وضع الفنجانين على المكتب .
ـ اشرب يا يوسف .
ـ العفو يا فندم .
ـ اشرب يا رجل . شيء بسيط .
هذا الرجل الطيب ! شعر يوسف بأنه يحبه حبا حقيقيا ، حبـــا كبيرا . كيف يمكن ان يرد جمائله او ان يعبر عن شعوره نحوه ؟ قطـــع افكاره دخول الصول حجازي . صاح الضابط وهو يشير نحو يوسف .
ـ تضربونه ؟ فوضى هي ؟
طأطأ الصول رأسه . لذ ليوسف ان يرشف من فنجانه وهو يرمقه بتشف . « رئيسه من سن أولاده ! » . ضرب الضابط على مكتبه بقوة :
ـ لا تعرفون ان الضرب هنا غير « قانوني » ؟
لم ينبس الصول بكلمة ، ابتسم الضابط ليوسف ، ثم عـاد يصيح في الصول وهو يضرب كفا بكف :
ـ تظنون كل من يأتي هنا لا دراية له بالقانون ! ها . تفضل وسنرى.
اتجه الضابط ليوسف بعد خروج الصول .
ـ اغبياء . لا يعرفون انهم بهذه الطريقة « يطفشون » الزبائن منا .
وضحكا عاليا . ترك الضابط اوراقه . وبدأ يتحدث الـى يوسف بلهجة تتغير نغماتها حسب المعنى الذي يريد التأكيد عليه :
ـ اسمع يا يوسف . ابغض صنعة في الانسان هـــي الغبـاء . لا تتصور . الرجل الغبي اكرهه تماما . دائما يجلب المتاعب لنفسه ، ولغيره .. لكن .. الرجل الذكي ، احبه ، واقدره بغض النظر عن اي شيء ..
سعل يوسف عندما تسرب بعض الدخان الـــى صدره . رمقـــه الضابط بثبات :
ـ تبدو فعلا كمن يدخن لاول مرة .
ـ صدقني حضرتك . انا لا ادخن .
زر الضابط على عينيه . رمق يوسف بنظرة عميقة .
ـ على كل يا يوسف . انا يعجبني الرجل الذكي .
ثم غير من لهجته :
ـ .. وانت يا يوسف ذكي .. ذكي جدا .. تصور . لـــو وجدتك لاقدر الله غبيا .. كنت سأغضب .. سأغضب جدا ..
كان ذهن يوسف مشغولا باعداد دفاعـــه . نادى الضابط حارس الحجـرة واشار لـه اشارة غامضة ، وانخذت ملامحه على الفور سمتا مغايرا وقال بنبرة جديدة :
ـ .. لكن الرجل الغبي كما قلت لك ، انفر منه . اكرهه ، يرفض

ـ التتمة على الصفحة ٤٩ ـ

القضيـــة

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٢٧ ـ

الفرصة التي امامه . الرجل الذكي دائما يقدر الظروف .. يقدرها بفهم .. يريح ويستريح .. وانا لا اساعد الا الاذكياء .. افول هذا وفي ذهني نموذج لانسان غبي ..

ونظر في عيني يوسف : ـ .. انت تعرفه .

وظل ينظر لعيني يوسف في ثبات لمدة ، ثم قال بتؤدة :

ـ احمد عبد المجيد سالم .

قال يوسف بتردد ذاهل : ـ لا يا فندم . لا اعرفه .

ابتسم الضابط وقال بلهجة حانية ونظراته لا تفارق عيني يوسف .

ـ هيه يا يوسف ! لا تعرفه ؟

تذكر يوسف كأنه هبط عليه الوحي :

ـ آ .. المزيف الذي امسكتموه !

اتى الضابط بحركة مرحة بيده وقال برقة :

ـ يا اخي .. هذا انت تعرفه .

وفتح الباب ، وفوجيء يوسف بالحارس يقود رجلا غير حليـــف الذقن ، نصف نائم . ويطل الارهاق مـــن كل جسده وملابسه . قـال الضابط مكملا حديثه :

ـ وهذا هو بنفسه يا عم .

نظر يوسف الى القادم من جديـــد . وراقب الضابط خلجاتهمـا جيدا . ساد الصمت لحظة ثم وجه الضابط حديثه للرجل المرهق وهـــو يشير الى يوسف :

ـ تعرفه ؟

ـ قال صوت استيقظ لتوه من سبات عميق :

ـ لا يا فندم .

ـ لا يزال غبيا ؟ علي انا ؟ لا تعرف يوسف ؟! صاح الضابط :

ـ اعرفه يا فندم .

ـ يا غبي ! ما الداعي للانكار ؟

دق قلب يوسف بعنف . انفتح فمه . هم بالكلام لكن جرس التليفون اوقف محاولته . تناول الضابط السماعة بسرعة .

ـ آلـو .. مـن ؟

وانتفض واقفا :

.. نعم سيادة الحكيمدار . انا عادل .. أيوه يا فندم .. قدامي الان .. متلبس يا فندم .. حاول رمي الجنيه عند الاشتباه فيه .. كان معي فقط الشاويش عبد العليم .. معلوماتنا دقيقة يا فندم .. فعلا .. اول مرة تعمل العصابة على خط ١٢٤ .. نعم يا فندم .. يعرفان بعضهما .. البركة في توجيهاتكم ..

ونظر الى يوسف مبتسما :

.. يا فندم في حكم المعترف .. اذكى من زميله ويقدر الموقف .. سأساعده حتما يا فندم .. اوامر سيادتكم .. الحمد لله .. آن الاوان .. كفى ثلاثة شهور .. حالا يا فندم .. حالا .. مع السلامة .

وشهق الضابط بعمق وهو يضع السماعة . قال ليوسف وهـــو يجفف عرقه بمنديل انيق :

ـ يا سيدي الحكيمدار ، ومدير الامن ، والمحافظ ، والداخلية كلها تريد ان تراك .. خرج يوسف من ذهوله . قال والدوامة تدور به :

ـ لكن ، يا حضرة الضابط انا لم افعل شيئا .

تغيرت سحنة الضابط على الفور . احمرت نظراته . قال بغضب :

ـ ماذا تقول ؟

كرر قوله مطأطىء الرأس . صاح الضابط :

ـ من انت اذن ؟

ـ يا حضرة الضابط انا موظف بمصلحة الا ...

ـ وهذا دليل كاف على براءتك ؟ قف وانت تكلمنـــي . « صنف » لا يأتي بالذوق . واتجه الى الرجل المرهق :

ـ تعرفه ؟

ـ نعم يا فندم ، يوسف .

ـ يوسف ماذا ؟

ـ يوسف .. آ .. أ ..

ـ يوسف حسن عبد الله . ادع السذاجة والعبط . زميلك ؟

ـ لا يا فندم .

صاح الضابط بحدة : ـ زميلك ؟

ـ نعم يا فندم .

اتجه الى يوسف : ـ هيـــه ؟

ـ والله يا فندم لا اعرفه .

ـ يبدو انك غبي انت الاخر .

وهرش رأسه وصمت قليلا ثم قال :

ـ دعنا منه . كان الجنيه جنيهك ام لا ؟

قال باستسلام : ـ نعـم .

ـ مصدره ؟

ـ لا اتذكر .

ـ لماذا حاولت التخلص منه ؟

ـ ...

ـ لماذا انكرت في البداية انه يخصك ؟

ـ ...

ـ واصرارك على فك الجنيه مع وجود عملة فضية في جيبك ؟

ـ ...

ـ وشهادة الشهود ؟ وعرف الناس عليك ؟

ـ ...

اتخذ حديث الضابط لهجة تقريرية :

ـ التهمة ثابتة ولا داعي للانكار . كن ذكيا . هيه ؟

ودق جرس التليفون من جديد .

ـ الـو ..

ورق صوت الضابط ومحت الابتسامات العريضة الملامح الصارمة :

« .. اهلا اهلا .. نعم يا شوشو .. عارف .. من ثلاثة شهـــور .. كنا مشغولين في قضية التزييف .. الحمد لله .. الله يبارك فيك ..

ومسح بيده شاربه الدقين ، وعبثت اصابع بشعره الفاحم :

.. كان معي جندي واحد .. المكافأة ؟ .. طبعا .. لكن اهم شيء في رأيي .. اغاظة مدحت وشرف وصادق وغيرهم وغيرهم .. لا تعرفين .. كانت مسألة حياة او موت لكل منـا .. هـه ؟.. العصيف الماضي ؟ .. ماله ؟.. مزيف .. فداك .. غيره ، وغيره .. وبالطـو ايضا .. اوامرك ..

وانكأ بكرسيه الى الخلف حتى لامس الجدار ، ومـد ساقيه فـــوق المكتب ، وعادت يده تعبث بخصلات شعره ، ونظر الـــى يوسف نظرة جانبية :

« لا ابدا .. عاقل جدا وذكي .. صدقيني ...

ولم يعد يوسف يسمع شيئا . وبدأ كابوس رهيب يكتم انفاسه ، بينما نظراته لا تفارق « زميله » ، لكن الاخر كان مغمض العينين ، نائـم السحنة .

ـ هيه ؟ ستعترف .

كان قد تذكر الحائط الوحيد الذي يستند اليه :

ـ يا فندم ، « القانون صريح في ..

ـ اه ؟ ماذا تقول ؟! اسمع ..

وغادر الضابط مكانه . رسم حلقة بسبابة وابهام يـــده اليمنى . قال مؤكدا ما يقول باصابعه الثلاثة :

ـ سأتركك وحدك . خمس دقائق تفكير . شاور عقلك .

ودفع الرجل المرهق امامه وواصل حديثه ليوسف :
ـ لا تكن غبيا مثله . كن عاقلا .
وضغط على مخارج الفاظه وهو عند الباب :
ـ واذا لم تعقل يا يوسف ، سيحقق معك الصول حجازي .. فاهم؟

ـ ٥ ـ

ظل واجما لفترة ـ خيلت اليه ـ طويلة . كانت الامور في ذهنه غامضة مشابكة . ماذا حدث وماذا يراد منه ؟ امامه مهلة خمس دقائق ليفكر ثم ليقرر بكامل « حريته » ما سوف يقول . ماذا يحدث في هذا العالم ؟ ايقسم لنفسه انه ليس مزيفا ؟ لكن ما دليله ؟ الانه لا يذكر انه لم يزيف يكون بالفعل بريئا ؟؟ ... ثم الا يمكن ان تكون الذاكرة قد خانته ؟ لا يزال يذكر قصة الرجل الذي فقد ذاكرته فنسي منزله ، وزوجته ، واولاده ، ونسي ايضا من هو . لا بد ان يكون بالفعل مزيفا والا لما حدث كل ما حدث ؟ وما المانع ان يكون كذلك وكل اصابع الاتهام تشير اليه ؟ ثم ما الفرق ؟ كل شيء ككل شيء . تلاشت دعوات امه وضحكات زملائه . ثمة جريمة ولا بد لها من فاعل . اعترف يا يوسف يستريح رجال الامن ، ويقف التزييف ، ويسترد الضحايا اموالهم ، ويستريح عادل هدايا خطيبته . اعترف يا يوسف ام تظن عظامك فضبانا من حديد؟
وشعر بصوت العناد الذي واجه به الصول حجازي يطل من جديد ، وبروح جبارة تدب فيه ، تهيب به بان يقول لعادل كل ما يشاء ، وليكن ماذا ستكون نتيجة ذلك على مر الايام .
وبدون ادنى تردد ، طرق الباب ، وطلب من الجندي ان يستدعي الضابط على عجل ، وبدأت تصل الى مسامعه دقات قلبه .

ـ ٦ ـ

قال دون مقدمات :
ـ يا فندم الجنيه كان يخصني .
ـ لا . لحظة من فضلك .
اسرع الضابط يستدعي جنديا ليدون الاعترافات .
ـ اسمك ؟
ـ حسن يوسف عبد الله .
ـ عملك ؟
شاء ـ مع كل ما قرره ـ ان يبقي شيئا من « وجوده الطيب » . قال بعد تردد :
ـ لا اعمل .
ـ قلت انك موظف بمصلحة ..
ـ كنت اكذب .
واستمرت الاسئلة التمهيدية التي اجاب عليها بصدق عدا السؤال الخاص بموطنه الاصلي .
ـ لماذا كنت ذاهبا الى الجيزة ؟
ـ كنت عائدا من شبرا .
ـ ماذا كنت تفعل هناك ؟
ـ لا شيء .
ـ تركب الاتوبيس اذن دون هدف ؟
ـ هذا ما حدث .
رفع الضابط صوته وقال بلهجة تقريرية وبحزم :
ـ لا يا يوسف . قلنا لا داعي للف والدوران . ركبت الاتوبيس لتفك الجنيه .
« هذا صحيح على نحو ما » . اجاب يوسف بعد برهة من التفكير:
ـ نعم .
ابتسم الضابط وقال برقة :
ـ هكذا نستطيع ان نتعاون . ثق ، ساعمل كل ما استطيع لمصلحتك . سيجارة ؟
« ما المانع ؟ » . اشعلها له الضابط . ترك التحقيق جانبا وقال مازحا :
ـ اسمع يا يوسف . يبدو ان هذه اول مرة تقوم فيها بالتزييف. لذلك فانت مضطرب . شيء في الامر يخجلك .. لكن اطمئن .. لست اول من يقبض عليه بهذه التهمة ولن تكون بالطبع الاخير . دائما ابدا كان هناك مزيفون . والعيب ليس عيبكم مطلقا . عيب الاغبياء السذج.. (واهنف) .. مقدمي البلاغات .. (وضحك) .. الحمير ..
ونفث نفسا من سيجارته ثم قال مواصلا مزاحه :
ـ .. وبيني وبينك يا يوسف . ما دام هناك حمير ، فسيوجد دائما من يركبها .
ثبت يوسف نظرته فيه لاول مرة . قال بعد فترة صمت :
ـ ممكن اجلس ؟
ـ آ .. لا مؤاخذة .. تفضل .
وجذب يوسف نفسا عميقا من سيجارته وبدأ الصوت العنيد يزداد الحاحا .
ـ توزعها لحسابك ام لحساب غيرك ؟
ـ لحسابي .
ـ شأن الاذكياء دائما . بالمطبعة ام باليد ؟
ـ باليد .
ـ انت ماهر اذن في الرسم .
ـ تقريبا .
بدأ الضابط يتمشى في الغرفة . يوسف يرمقه بنظرات ثابتة . القى الضابط نظرة من النافذة المطلة على حديقة القسم . عاد وهو يحك جبهته .
ـ ما رأيك يا يوسف في مئات البلاغات التي وصلتنا ؟
ـ بعضها صحيح وبعضها كاذب .
ـ تعرف الذين تعرفوا عليك ؟
ـ هم يعرفونني .
وضع الضابط يده على كتف يوسف . قال بلهجة رقيقة وهو ينظر في عينيه :
ـ واحمد عبد المجيد سالم ؟
ـ لا اعرفه .
ـ لكنه يعرفك . ثم انك كنت تعرف اسمه .
ـ سمعته من الصول .
قالت نظرات الضابط : هكذا ؟
ـ صدقني يا « كابتن » . قلت لك ساعترف بكل شيء .
دس السيجارة في رماد المنفضة ، وواجه الضابط بكل وجهه والروح الشريرة تنمو في كل كيانه مع الصوت العنيد :
ـ وبم تفسر وجود النقد المزيف معه .
تمالك يوسف ان يضحك . قال ببساطة :
ـ واحد من ضحايانا .
ـ من الحمير ؟
رد يوسف بجفاء :
ـ نعم .
ـ كيف حصل عليه ؟
ـ بنفس الطريقة .
ـ بنفس الطريقة ؟
ـ نعم .
ـ طريقة قديمة يا يوسف . يحسن ان تجددوا في اسلوبكم.
تمتم يوسف بكلمات غير مفهومة . مضت فترة صمت ثقيلة . هأها الضابط في اعماقه متشفيا : « متهمك بريء يا عم مدحت ! » . واسه فكرة سريعة :
ـ اذن فيمكن اعتباره شاهدا .
ـ لم لا ؟

قال الضابط يملي كاتب التحقيق :

« واعترف المتهم ان احمد عبد المجيد سالم كان واحدا من ضحاياه، وحصل على الجنيه الذي ضبط معه اول امس من المتهم ، عندما تطوع ليفك له نفس الجنيه ، بعد ان كادت ان تحدث مشادة بين المتهم ومحصل الاتوبيس بسبب الفكه كما حدث اليوم » .

وعاد الضابط يتمشى ، يمناه في خصره ، يسراه تعبث بشعيره الفاحم ، ابتسامة خبيثة ترتسم على شفتي يوسف ، والروح الشريرة تفصح عن عملاق خاله سيلامس السقف . عاد الضابط اليه فجأة كمن عثر على فكرة غابت عنه :

ـ اذن فبعض البلاغات صحيحة ؟

ـ بلا شك .

ـ معنى هذا انك ستستخدم مطبعة .

ونظر في عيني يوسف مباشرة ، وهز كتفيه باستخفاف ، وقال ببساطة وهو يبتسم :

ـ شيء بالفعل ، والا ما زيفت بهذه الكثرة .. مئات البلاغات هنا ، والاف في البلدان الاخرى ..

وضحك بصوت مسموع :

ـ ... والحمير دائما في كل مكان .

وجد يوسف ان الامر بالفعل منطقي ومعقول .

ـ نعم استخدم مطبعة .

ـ لماذا تلف اذن وتدور يا يوسف ؟

نظر اليه يوسف . ابتسم الضابط . قال :

ـ قهوة ؟

اومأ الروح الشريرة بالايجاب . وترك الضابط التحقيق من جديد :

ـ اسمع يا يوسف . الرجل الذكي هو الذي يقدر الموقف الذي هو فيه خير تقدير . لا يخدع نفسه ...

وافقه يوسف على كل ما قال . احضر الجندي فنجانين من القهوة. قال الضابط فجأة وهو يرشف من فنجانه :

ـ واين هي يا يوسف ؟

استفهم حاجبا يوسف .

ـ المطبعة .

ـ موجودة يا فندم .

ـ في مسكنك ؟

قال صوت العملاق الذكي :

ـ ان لم تكن قد سرقت .

وعاد يرشف من فنجانه . نظر الضابط الى سقف الحجرة . دق بالقلم عدة مرات فوق المكتب . استدار الى يوسف فجأة ، وقال ونظراته تقطر ذكاء :

ـ يعني ان شركاءك ربما سرقوها الان .

وضع يوسف فنجانه الذي فرغ منه .

ـ ليس لي شركاء .

طلب الضابط الى كاتب التحقيق ان يتوقف . ربت على كتف يوسف وهو يقول :

ـ اسمع يا يوسف . من المدة التي قضيتها معي ، عرفت انك شهم ، رجل . ومن دلائل الرجولة « عندكم » ان « الرجل » لا يعترف على شركائه .

شعرت الروح العملاقة امام الحديث ان صاحبها ساذج بحق ، لا خبرة له بشئون الحياة .. حلا ليوسف ان يظل جالسا ، بل راودته رغبة عارمة ان يضع ساقا فوق ساق . واصل المحقق كلامه مؤكدا افكاره باشارة من يديه :

ـ يا خسارة ! انت في السجن «وهم» يمرحون .. وسيأخذ واحد منهم « فتاتك » بالتأكيد ، وتخسر انت كل شيء .. ونحن ..

وهز كتفيه ، ورسم امتعاضة بشفتيه :

ـ .. لن نكون قد فعلنا شيئا .. فالتزييف سيستمر ..

ظل يوسف يرمقه بنظرات جانبية ، ودوت في اعماقه ضحكة مجلجلة . لذ له ان يرقب الضابط وهو يتمشى ، يحك جبهته ، ويدس انامله في شعره . قامة الضابط متوسطة الطول وليست بالطول الذي كان يظنه عندما رآه في بداية التحقيق . سمع صوته بعد صمت طويل:

ـ .. وعلى كل حال ، ما دام الاعتراف ليس كاملا ، فلن تستفيد . لكي تخفف العقوبة لا بد ان يكون الاعتراف كاملا . انت ذكي وتفهم كل شيء ..

ظل يوسف مواصلا صمته .

ـ اسمع يا يوسف . لك اصدقاء ؟

تمالك نفسه ان ينفجر ضاحكا . خطرت له على الفور فكرة لا يدري الشيطان نفسه كيف يوحي بها :

ـ هذه اسماء شركائي .

اشار الضابط الى كاتب التحقيق ان يدون :

ـ حسن عبد الله يوسف . يوسف عبد الله حسن . حسن يوسف عبد الله . عبد الله يو ...

ـ ف . لا تكتب .

انجه الضابط اليه بخطوات غاضبة .

ـ ما هذا ؟

لا بد ان قوة خفية الصقته بالكرسي فظل جالسا . قال بهدوء مثير رغم ارتجاف اعماقه :

ـ اسماء شركائي .

ـ تسخر مني يا يوسف ؟

ـ لا . ابدا ..

وفكر لحظة :

ـ .. والله هي اسماء اشخاص .. موجودين فعلا ..

رسم الضابط بيده علامة دهشته وحيرته .

ـ اعرف . ولكن ..

ثم اندفع في الحديث :

ـ .. هل اخترتهم لتشابه اسمائهم ؟

وانت العملاق لمحة اخرى من ذكاء ماكر :

ـ كل الاسماء هكذا يا حضرة الضابط . والناس ايضا .

فتح الضابط عينيه كما لو كان مستيقظا لتوه .

ـ ماذا تعني ؟

ـ لا شيء .

تمتم الضابط يحدث نفسه :

ـ يوسف حسن عبد الله . عبد الله حسن يوسف . يوسف عبد الله حسن ..

ثم صاح وقد زر على عينيه :

ـ .. مستحيل ان تكون هذه صدفة . انت لا تقول الحقيقة .

اهنف يوسف عند سماع الكلمة .

ـ ... وليس هناك اناس بهذه الاسماء .

ـ بلى هناك واقسم لك .. وستجد ايضا من يشهد عليهم .

ظل يوسف يتابع الضابط بنظراته . قلب الضابط يديه في حيرة :

ـ اتصل الصدفة لهذا الحد العجيب ؟!

خيل ليوسف ان قامة الضابط قد ازدادت قصرا . انتفخ العملاق الذي امتد في كيانه واصبح ذكاؤه لا يطاق :

ـ تلك يا حضرة الضابط اسماؤهم الحركية .

واسماؤهم الصحيحة ؟

ـ لا ادري . سيادتك تعلم . في مهنتنا هذه ، لا احد يثق بالاخر.

صمد يوسف لنظرات الضابط فلم تختلج في قسماته عضلة .

ـ انت لا تقول الحقيقة .

ـ اقسم الا شيء مما قلت يخالف الحقيقة .

اخذ الضابط يدق المكتب بقلمه دقات خافتة . قال يوسف قطعا

للصمت :

ـ عيب يا كابتن . صدقني . لقد اكرمتني .

عاد الضابط يذرع الغرفة جيئة وذهابا . استمرأ يوسف بلذة خبيثة النظر اليه . التفت الضابط ليقول بلهجة من وجد ما يقوله :

ـ اسمع يا يوسف .

ودق جرس التليفون :

« الو .. نعم يا كابتن شرف .. (ارتخت عضلات وجهه المشدودة بل ابتسم) .. انا عادل يا شرف .. موجود امامي .. الولد الذي امسكه « عمك » مدحت بريء .. اعترف بذلك .. (ونغم صوته واتكا بكرسيه الى الخلف) .. بكل التفاصيل يا شرف ..

واربدت سحنته فجأة ، وهرب الدم من وجهه ، واعتدل في جلسته ، وحفزت كل خلايا جسده :

« .. ماذا تقول ؟ .. مستحيل ! .. غير معقول ! .. انت بنفسك؟

دهم يوسف خطر غامض وتحفزت كل مشاعره .

« .. انت الذي قبضت عليهم ؟ .. ومتلبسين ؟ .. والمطبعة ؟.. جاري البحث عنها ؟.. مع السلامة .. مع السلامة .. »

اسند رأسه بكف ، وغطى عينيه بالاخرى . انتفض واقفا فجأة . دب خوف حقيقي هز كل اعماق يوسف . لمح كاتب التحقيق . كانما فوجيء بوجوده . امره ان يغادر الحجرة في الحال . اشتد خوف يوسف . اخذ الضابط يتمشى بخطوات ذاهلة لا وقع لها .

ـ .. هنيئا لك يا شرف .. نلت فرصتك . تحرياتك كانت ادق . ماذا سيقول الحكيمدار ؟ وشوشو ؟.. والمكافاة ؟ ما هذا الذي يحدث ؟

وقعت نظراته على يوسف . افاق الى نفسه . نظراته حولت خوف يوسف الى رعب حقيقي . صاح فيه بصوت يزلزل جبلا :

ـ من انت ؟

صوت يوسف الهادىء لا يفصح عن حقيقة ما يعتمل في نفسه من مشاعر :

ـ يوسف حسن عبد الله .

قذف الضابط بصينية القهوة في وجهه . انتفض يوسف واقفا . انكمش في الحائط . اتجه الضابط اليه . رفع يوسف غريزيا يديه ليغطي بهما وجهه ورأسه . جذبه الضابط من خانقه . سار به خطوات وهو يصيح :

ـ يوسف حسن عبد الله . عبد الله يوسف حسن . حسن عبد الله يوسف .

ولصقه بالحائط في عنف .

ـ .. يا ابناء الكلاب . ماذا تريدون منا بالضبط ؟

برغم كل ما حدث ، ظل شيء خبيث كامن تحت جلد يوسف يرقب المشهد المثير بلذة .

ـ .. اكاد اجن . من جاء بك الى هنا ؟

رد الصوت الهادىء المثير : ـ الشاويش عبد العليم .

ـ حمار انت وهو .

ولصقه مرة اخرى بالحائط . وتدلى ذراعا يوسف الى جنبيه :

ـ .. يا لوح . لو قيل لك : ارم بنفسك في النيل . تفعل ؟

تركه واتجه نحو النافذة يتطلع الى الاشجار . تنفس ملء رئتيه بصوت لاهث . اختفى العملاق وصمت الصوت العنيد نهائيا في اعماق يوسف ، وعادت دعوات امه الساذجة . وجلجلت ضحكات زملائه في العمل ، وانساب الدمع غزيرا من عينيه ، وشعر كأن يدا تطبق على عنقه توشك ان تهتك حلقه . سمعه الضابط يتشنج . التفت نحوه في غيظ :

ـ ماذا يبكيك ؟

ـ سيدي . انا المزيف الحق . انا الذي تبحثون عنه .

ادار الضابط ظهره . قال يحادث نفسه اكثر مما يرد على يوسف:

ـ وهؤلاء الذين امسكوهم متلبسين ؟

ازدادت دموع يوسف انهمارا . ضحك الضابط في مرارة . عاد يذرع الغرفة طولا وعرضا .

ـ هيه . ! جنيهات زائفة . عقود زائفة ..

ـ سيدي . انا المزيف الحق . انا الذي تبحثون عنه . انا معترف بكل شيء .

ـ اخرس قلت لك . اغرب عن وجهي . اذهب للحجز حتى نرى.

ـ ٧ ـ

اسقط في يد عادل ومدحت ، فقد انهارت كل ادلة الاتهام،وافسم المزيفون « الجدد » بكل ما لديهم من كلمة « شرف » ان احمد عبدالمجيد سالم ويوسف حسن عبد الله لا يمتان اليهم بصلة . بدا الضابط شرف يذرع الغرفة في ثبات ويوجه حديثه بكل ثقة لاحمد ويوسف :

ـ انتما ايضا من شهودنا . انت (واشار لاحمد) اخذت الجنيه من هذا الرجل (واشار لرجل متهدل الملابس ، منكوش الشعر ، تصبغ الكدمات وجهه ، ويغطي الورم احدى عينيه) عندما تطوع ليفك لك خمسة جنيهات في الاتوبيس . وانت (واشار ليوسف) بنفس الطريقة من هذا الرجل (واشار لاخر نصف نائم ، يستند الى الحائط ولا يلقي بالا لما يدور حوله) .. اليس كذلك ؟

تمتم المتهمان « السابقان » وطأطأ رأسيهما . اتجه شرف الى المكتب . جلس باعتداد . اشار لكاتب التحقيق ان يدون الاستجواب .

ـ اسمك ؟

هم الرجل المنكوش الشعر بالرد ، لولا ان دق جرس التليفون . هب شرف واقفا والتقط السماعة في سرعة :

« الو .. من ؟ .. صادق ؟ ... كابتن صادق ؟ ..

وجالت نظراته الداهشة في وجوه من حوله ، وسقط جالسا والذعر يملأ كل قسمات وجهه :

« .. نعم ؟ .. ماذا تقول ؟ .. مستحيل .. مستحيل .. غير معقول ! .. »

القاهرة

زهير احمد الشايب

في الاسواق

حتى يعود سعبنا

للشاعر هارون هاشم رشيد

اخر ديوان لشاعر المأساة الفلسطينية ، يغني فيه الالم والامل والعودة الى الارض السليبة الحبيبة ، في نكهة شعرية جديدة .

منشورات دار الاداب الثمن ٢٠٠ ق. ل